



الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد ..

أما بعد ..

فإن لله سبحانه وتعالى عادة لغير تبدل كل شيء لم تتغير ولم تتبدل، نافذة في ممالكه بلا ممانع، قاهرة لخلقها بلا مدافع، مصدرها الحكمة والرحمة وشمول القدرة مع القيام بالقسط .

فمنها ما يظهر العلم به لكثير من الخلق، ومنها ما لا يعلمه إلا القليل منهم، ومنها ما لا يعلمه سواه سبحانه .
فمن أمثلة ما يخفى على كثير من الناس من عادة رب وسنته لاسيما أهل النفاق تأخير نصر الدين وأهله وهو على الحقيقة بالرغم من شدة وطأته وثقل حمله نصر خفي مؤصول بالنصر الجلي، فلابد من هذا للمؤمنين إذا قاموا بنصرة الدين، وهو لطف بهم كما حصل في غزوة أحد .

وتأمل كلام الإله وتعارف على سنته التي لا تتبدل، ترى أنها تشد الحال ويعظم الكرب حتى يقول الرسول والمؤمنون معه : {متى نصر الله} .

فيكون الجواب من الولي النصير : {ألا إن نصر الله قريب} ومثله : {حتى إذا استئنَسَ الرَّسُولُ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُنْبُوا} فيقول تعالى : {أَتَاهُمْ نَصْرَنَا} .

وهُنَّا يَرُدُّ سُؤَالَ يَكُونُ فِي جَوَابِهِ كَشْفُ الْمَسْتُورِ الْمُخْبَأِ عَنْ عِلْمِ أَكْثَرِ الْخَلْقِ، وَالسُّؤَالُ هُوَ : هَلْ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ خَانِدًا لِرَسُلِهِ وَعَبَادَهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي شَدَّتِهِمْ ثُمَّ إِنَّهُ بَدَأَهُ بَعْدَ أَنْ يَنْصُرَهُمْ حِينَما قَالَ تَعَالَى : {أَلَا إِنْ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} وَحِينَما قَالَ : {أَتَاهُمْ نَصْرَنَا} .

الجواب: تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً وإنما من أسرار الأقدار أن يكون الابتلاء خفيًّا والمحنة مستورٌ {ليميز الله الخبيث من الطيب} وإن فالرب سبحانه لا يستجد له جديد كان خافٍ عليه قبل ولا يؤثر في قدرته مؤثراً من دونه كيف ومقاديره جارية على سنته، سابقة لخلقها.

وتمام جواب السؤال هو أنَّ الربَّ سبحانه وتعالى لم يتخلَّ عن رسُلِهِ وعِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، ولم يخذلَهُمْ وقتَ شُدُّتِهِمْ ووقفَ الغلبة التغريبة الاستدرجية لعدوِّهمِ والَّتِي هي غير مستقرة ولا مستمرة وإنما ليظهر معلومة وآياته وعجائب قدرته، وحيث إنَّ الكُمَائِنَ تُظَهِّرُ عِنْدَ الْمُحْنِ فَمِنْ أَعْظَمِ ذَلِكَ ظُهُورَ كُمَائِنَ الْمُنَافِقِينَ وَظُنُنِهِمْ السُّوءِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَلَا يَنْصُرَ مِنْ نَصْرِ دِينِهِ . حِكْمَةُ غَيْرِهَا عَظِيمَةُ الْقُدْرَةِ ذَكْرُهَا لِبْنُ الْقِيمِ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (زادُ الْمَعَادِ) فِي كَلَامِهِ عَلَى غُزْوَةِ أَحَدٍ أَحَبَّتْ نَقْلَاهَا هُنَّا لَمَّا فَبِهَا مِنَ الْعُبْرَةِ وَالْعِظَةِ وَلِمُشَابَهَةِ الْحَالِ إِنَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، {لِيَحْيَى مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيْنَ وَيْهَكَ مِنْ هَلْكَ عَنْ بَيْنَهُ} .

قالَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَحْتَ عَنْوَانِ : (فَصَلِّ فِي نَكْرِ بَعْضِ الْحِكْمَةِ وَالْغَيَايَاتِ الْمُحْمُودَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي وَقْعَةِ أَحَدٍ) :

(وَمِنْهَا) تَعْرِيفُهُمْ بِسُوءِ عَاقِبَةِ الْمُعْصِيَةِ وَالْفَشْلِ (1) وَالْتَّنَازُعِ وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ إِنَّمَا هُوَ بِشَوْئِمِ ذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى : {وَلَقَدْ صَدَقْتُمُ اللَّهَ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونُهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَكُمْ مَا تَحْبُّونَ مِنْكُمْ مِنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مِنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْتُمُّهُمْ عَنْهُمْ لِبِيَتِكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} .

فَلَمَّا ذَاقُوا عَاقِبَةَ مُعْصِيَتِهِمْ لِلرَّسُولِ وَتَنَازَعُهُمْ وَفَشَلُهُمْ كَانُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَشَدَّ حُزْنًا وَبِقَظْةٍ وَتَحْرِزًا مِنْ أَسْبَابِ الْخُذْلَانِ، [وَلَمْ تَكُنْ مُعْصِيَتِهِمْ إِلَّا مُخَالَفَةُ الرِّمَاءِ مَوْضِعِهِمُ الَّذِي أَمْرَهُمُ الرَّسُولُ ٢ بِلِزْوَمِهِ فَبِسَبِّبِ تَلْكَ الْمُخَالَفَةِ جَرَتِ الْأَمْرَاتُ الْكَبِيرَةُ مِنْ إِدَالَةِ الْعُدُوِّ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرَاتُ الْمُحْزَنَةُ، فَكِيفَ بِمُخَالَفَاتِنَا الَّتِي لَا تَحْصِي ؟] .

(وَمِنْهَا) أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ وَسُنْنَتِهِ فِي رَسُلِهِ وَأَتَابِعِهِمْ جَرَّتْ بِأَنَّ يُدَالِّوا مَرَةً وَيُدَالِّ عَلَيْهِمْ أُخْرَى لَكِنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الْمُعْصِيَةِ، فَإِنَّهُمْ لَوْ اَنْتَصَرُوا دَائِمًا دَخَلُوا مَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَغَيْرُهُمْ وَلَمْ يَتَمَيَّزُ الصَّادِقُ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَوْ اَنْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ دَائِمًا لَمْ يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْبَعْثَةِ وَالرَّسَالَةِ، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ أَنْ جُمِعَ لَهُمْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ لِيَتَمَيَّزُ مِنْ يَتَبَعُهُمْ وَيَطِيعُهُمْ لِلْحَقِّ وَمَا جَاءُ بِهِ مِنْ يَتَبَعُهُمْ عَلَى الظُّهُورِ وَالْغَلَبَةِ خَاصَّةً .

(وَمِنْهَا) أَنَّ هَذَا مِنْ أَعْلَمِ الرَّسُلِ كَمَا قَالَ هَرْقُلُ لِأَبِي سَفِيَّانَ : هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : كِيفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ؟ قَالَ : سَجَالٌ، نَدَالٌ عَلَيْهِ وَيُدَالٌ عَلَيْنَا، قَالَ : كَذَلِكَ الرَّسُلُ تَبَتَّلُ ثُمَّ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةً .

(وَمِنْهَا) أَنَّ يَتَمَيَّزَ الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ مِنَ الْمُنَافِقِ الْكَاذِبِ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَا أَظْهَرُوهُمُ اللَّهَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرِ وَطَارَ لَهُمُ الصَّيْبَتُ دَخَلُوا مَعَهُمُ الْإِسْلَامَ ظَاهِرًا مِنْ لَيْسَ مَعَهُمْ فِيهِ بَاطِنًا، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ سَبَبَ لِعِبَادِهِ مَحْنَةَ مِيَّزَتِهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ فَأَطَلَعَ الْمُنَافِقُونَ رَؤُوسَهُمْ فِي هَذِهِ الْغُزْوَةِ وَتَكَلَّمُوا بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ وَظَهَرَتِ مَخْبَاتُهُمْ وَعَادَ تَلْوِيْهُمْ صَرِيْحًا، وَانْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى كَافِرٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُنَافِقٍ اِنْقَسَاماً ظَاهِرًا، وَعَرَفَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ لَهُمْ عَدُوًّا فِي نَفْسِ دُورِهِمْ وَهُمْ مَعَهُمْ لَا يَفَارِقُونَهُمْ فَاسْتَعْدُوا لَهُمْ وَتَحْرِزُوا مِنْهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذْرُرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَطْلَعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكُنَّ اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رَسُلِهِ مِنْ يَشَاءُ} .

أَيُّ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذْرُرَكُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّبَاسِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمُنَافِقِينَ حَتَّى يَمِيزَ أَهْلَ الإِيمَانِ مِنَ أَهْلِ النَّفَاقِ كَمَا مِيَّزَهُمْ بِالْمَحْنَةِ يَوْمَ أَحَدٍ {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَطْلَعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} الَّذِي يَمِيزُ بَيْنَ هُؤُلَاءِ وَهُؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ مُتَمَيَّزُونَ فِي عِلْمِهِ وَغَيْرِهِ وَهُوَ سَبَبُهُ يَرِيدُ أَنْ يَمِيزَهُمْ تَمِيِّزًا مَشَهُودًا فَيَقُولُ مَعْلُومَهُ الَّذِي هُوَ غَيْبٌ شَهَادَةُ، وَقَوْلُهُ : {وَلَكُنَّ اللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رَسُلِهِ مِنْ يَشَاءُ} اِسْتَدِرَاكَ لَمَا نَفَاهُ مِنْ اطْلَاعِ خَلْقِهِ عَلَى الْغَيْبِ كَمَا قَالَ : {عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهُرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مِنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولِهِ} فَحَظِّكُمْ أَنْتُمْ وَسَعَادَتُكُمْ فِي الإِيمَانِ بِالْغَيْبِ الَّذِي يُطْلَعُ عَلَيْهِ رَسُلُهُ، فَإِنَّ آمِنَتُمْ بِهِ وَاتَّقِيَّتُمْ كَانَ لَكُمْ أَعْظَمُ الْأَجْرِ وَالْكَرَامَةِ [وَمِنْ

هذا الغيب أن يستيقن المؤمن أن الله ينصر دينه لا محالة [.

(ومنها) استخراج عبودية أوليائه وحزبه في النساء والضراء وفيما يحبون وما يكرهون وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتو على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقاً، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من النساء والنعم والعاافية.

(ومنها) أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة ذلوا وانكسرت و خضعوا فاستوجبوا منه العز والنصر، فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولادة الذل والإنكسار، قال تعالى : {ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة} وقال: {و يوم حنين إذ أعجبتكم كثركم فلم تغن عنكم شيئاً} .

فهو سبحانه إذا أراد أن يُعز عبده ويُجبره وينصره كسره أولاً، ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره .

(ومنها) أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وففهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها .

(ومنها) أن النفوس تتکسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغياناً ورکوناً إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة فإذا أراد بها ربهها ومالکها وراحمها كرامته قيّض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه .

(ومنها) أن الشهادة عنده أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده وليس بعد درجة الصدقة إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن يتذ من عباده شهادة تُراق دماؤهم في محبتة ومرضاته ويؤثرون رضاه ومحاباه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسلیط العدو . [هذا فيه شبه من السور الذي باطنها فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فتأمل حال المؤمن والمنافق هنا] .

(ومنها) أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويفحصهم قيّض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، ومن أعظمها بعد كفرهم وطغيانهم مبالغتهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والسلط عليه فيتمحض بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم [تأمل هذا وترقب فعل رب العالمين بأعدائه، وقد ظهرت والله الحمد علامات ذلك واضحة من قوارعه المتواتلة عليهم ونحن نسأله المزيد، وتذير قوله سبحانه عن فرعون وقومه : {فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ} فالطغاة يتمادون بطغيانهم والرب يمهلهم ويظنون أنه مهمّلهم حتى إذا استكمل غضبه عليهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر، وهذا معنى الآية .

وقد بيّنت في (جواب الأميركيين) وغيرهم عظم فساد هؤلاء الكفّرة في الأرض وأنه أعظم من إفسادهم بالمحاربة وقتل المسلمين فنحن نتربيّص بهم سنن شديد المحال].

ثم إن ابن القيم رحمة الله ذكر كلاماً ثم قال في قبّح طاعة الكفار : وحذّرهم سبحانه من طاعة عدوهم وأخبر أنهم إن أطاعوهم خسروا الدنيا والآخرة، وفي ذلك تعريض بالمنافقين الذين أطاعوا المشركين لما انتصروا وظفروا يوم أحد، ثم أخبر سبحانه أنه مولى المؤمنين وهو خير الناصرين، فمن ألاه فهو المنصور، ثم أخبر أنه سيلقي في قلوب أعدائهم الرعب الذي يمنعهم من الهجوم عليهم والإقدام على حربهم، فإنه يؤيد حزبه بجند من الرعب ينتصرون به على أعدائهم، وذلك الرعب بسبب ما في قلوبهم من الشرك بالله، وعلى قدر الشرك يكون الرعب، فالمسرك بالله أشد شيء خوفاً ورعباً، والذين آمنوا ولم يلبيسوا إيمانهم بالشرك لهم الأمن والهدى والفلاح، والمسرك له الخوف والضلال والشقاء [تأمل رعب أعداء الله] ،

وذكر كلاماً ثم قال عن المنافقين أنهم يظلون بالله غير الحق ظن الجاهلية وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمنه للقتل، وقد فسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضاءه وقدره ولا حكمة له فيه، ففسر بإنكار الحكم وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله ويظهره على الدين كله.

انظر قوله في معنى ظن السوء: (وأن أمره سيضمنه) واعلم أن هذا ظن أكثر الخلق اليوم وهو ظن المنافقين لأن طغيان الباطل وطوفانه الذي تفجر في وقتنا قد طفى على العقول وزيفها، ولما جاء الابتلاء بتکالب الكفار على المسلمين وحصول نوع هزيمة هي على الحقيقة ابتلاء للمنافقين ولطفاً بالمؤمنين ظهرت الكائن الخبيثة ممن لم يقدر الله قدره ولا يعرف حكمته فتكلم من تكلم وعمل من عمل وظنوا أن الدين لن تقوم له قائمة، وكانت قد امتلأت أذهانهم الخاوية المظلمة أن الدين لا يصلح لهذا الزمان اللهم إلا دين ملَّق بمادة كفرية ونُحْلَّة طاغوتية، فيبقى اسم ورسم في غاية الذلة والهوان قطع الله دابر كل من ظن هذا الظن وأراد هذه الإرادة من نواب إبليس و وكلائه من الكفارة والمنافقين الذين {نسوا الله فنسيهم} والذين هانوا على الله فعصوه ولو عَزَّوا عليه لعصمهم). (1)

أيظن المنافق أن الله تخلى عن ملكه ووكل دينه وعباده إلى غيره وأنه يخذل من نصر دينه ؟ لا، وعزته، فتعسأ للظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء، والله غالب على أمره] ثم قال ابن القيم، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون به سبحانه وتعالى في سورة الفتح حيث يقول : {ويعد المنافقين والمنافقات والمشركيـن والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضـب الله عليهم ولـعنـهم وأـعـدـ لهم جـهـنـمـ وـسـاءـتـ مـصـيـراـ}

وإنما كان هذا ظن السوء وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل وظن غير الحق لأن ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء بخلاف ما يليق بحكمته وحُمْدُه وتفرده بالربوبية والإلهية وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه وكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنه بأنهم هم الغالبون، فمن ظن أنه لا ينصر رسوله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويُعْلِيـهمـ ويـظـفـرـهـ بـأـعـدـهـ وـيـظـهـرـهـ عـلـىـهـ وـكـاتـبـهـ،ـ وأنـهـ يـُدـبـيلـ الشـرـكـ عـلـىـ التـوـحـيدـ وـالـبـاطـلـ عـلـىـ الـحـقـ إـدـالـةـ مـسـتـقـرـةـ يـضـمـنـهـ مـعـهـ التـوـحـيدـ وـالـحـقـ اـضـمـحـلـاـ لـاـ يـقـومـ بـعـدـ أـبـدـاـ فـقـدـ ظـنـ بالـلـهـ ظـنـ السـوـءـ وـنـسـبـهـ إـلـىـ خـلـافـ ماـ يـلـيقـ بـكـمـالـهـ وـجـالـلـهـ وـصـفـاتـهـ وـنـعـوـتـهـ،ـ فـإـنـ حـمـدـهـ وـعـزـتـهـ وـحـكـمـتـهـ وـإـلـهـيـتـهـ تـأـبـيـ ذـلـكـ وـتـأـبـيـ أـنـ يـُدـلـ حـزـبـهـ وـجـنـدـهـ وـأـنـ تـكـوـنـ النـصـرـةـ الـمـسـتـقـرـةـ وـالـظـفـرـ الـدـائـمـ لـأـعـدـائـهـ الـمـشـرـكـيـنـ بـهـ الـعـادـلـيـنـ بـهـ فـمـنـ ظـنـ ذـلـكـ فـمـاـ عـرـفـهـ وـلـاـ عـرـفـ صـفـاتـهـ وـكـمـالـهـ .

[تأمله فإنه كلام نفيس للغاية منطبق على ما نحن فيه من وجوه عديدة حيث ظن أكثر الخلق برب العالمين سبحانه ظن السوء وظن الجاهلية حيث اعتقدوا أن الله يُضيّع للأفغان والعرب الذين معهم سعيهم بإقامة دينه وشرعه ومتابذتهم أعدائهم وجهادهم إياهم وأنه يخذلهم وينصر الكفار عليهم] .

ثم قال رحمة الله : ثم أخبر سبحانه عن حكمة أخرى في هذا التقدير وهو ابتلاء ما في صدورهم وهو اختبار ما فيها من الإيمان والنفاق، فالمؤمن لا يزداد بذلك إلا إيماناً وتسليماً، والمنافق ومن في قلبه مرض لابد أن يظهر ما في قلبه على جوارحه ولسانه .

[لقد ظهر من كثيرين مكتنونات سوء يصعب حصر ما ظهر منها وما خفي أكثر، ومن ذلك ما كتب بعض المعتوهين عن المجاهدين في بعض الجرائد من قوله في إجابته المعترضين عليه لما يظهر من بغضه للمجاهدين، يقول : (أحسن الله عزاءك في أسماتك وطالبانك) ويقول أهلكه الله ساخراً : (فلا طالبان ولا حالمان) .

وأهل إيمان والله الحمد على يقين لا يتزعزع أن الله سوف يُخلف ظنون المنافقين ومرضى القلوب الظانين بالله الظن الذي لا يليق به سبحانه كما أخلف ظنون إخوانهم من قبل بنصره للحق ولمن قام به وكتبته لأعدائه وخذلائهم وموتهم بغيظهم .

وقد ظهرت ولله الحمد بشائر النصر وتحقق قول الله عزل وجل في الكفار والمنافقين : {ولن تغنى عنكم فئتك شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين} فما زالت ولله الحمد القوارع الإلهية والآيات الربانية تتبع على أعداء الله مثل الربع وهو جند من جند الإله العظيم وغير ذلك من الخسنان والخذلان والأمراض والجراد والطوفان والأعاصير والحرائق والزلزال واختلافهم فيما بينهم وغير ذلك مما يؤيد الله به عباده المؤمنين ويخذل أعداء الكافرين وما زلنا في انتظار المزيد من الولي الحميد، قال تعالى: {وَإِذْ تَأْذِنُ رَبَّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدُنَّكُمْ}.

ثم قال ابن القيم قدس الله روحه : ثم أخبر عن حكمة هذا التقدير وهي أن يعلم المؤمنين من المنافقين علم عيان ورؤيه يتيمز فيه أحد الفريقين من الآخر تميّزاً ظاهراً، وكان من حكمة هذا التقدير تكُلُّ المنافقين بما في نفوسهم فسمعه المؤمنون وسمعوا رَدَّ الله عليهم وجوابه لهم وعرفوا مؤدى النفاق وما يُؤولُ إليه، وكيف يحرم صاحبه سعادة الدنيا والآخرة فيعود عليه بفساد الدنيا والآخرة، فلله كم من حكمة في ضمن هذه القصة باللغة، ونعمه على المؤمنين سابقة وكم فيها من تحذير وتخويف وإرشاد وتتبّيه وتعريف بأسباب الخير والشر وما هما وعاقبتهما، انتهى باختصار.

وإن من عرف بعض حكم تأخير النصر للمؤمنين على أعدائهم لم يظن بربه ظن سوء ولم يقطن من رحمته ويعلم أن تأخيره سبحانه لنصره نصر لهم وإن رغمت أنوف أعداء الله من الكفارة والمنافقين.

وإن في هذا الكلام البليغ لابن القيم كفاية كافية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أما المنافق المطبوع على قلبه فلو تناطحت الجبال وكلمه الموتى فإنه لا يزداد إلا عتواً ونفوراً، فلُيُمْتَ بغيظه.

وتأمل قول ابن القيم : (فلله كم من حكمة في هذه القصة باللغة، ونعمه سابقة) مع أنه حصل في غزوة أحد ما حصل على النبي ٢ وأصحابه فتأمل كيف جاءت المِنْ عن طريق المِحن، وأعلم أن رب الزمانين واحد وأنه رقيب على عباده شهيد عليهم .

فالحذر كل الحذر من عزل المالك الحق عن ملكه والتعرض بالسياسات الطاغوتية المنتنة، فإن هذا بحر قد غرق فيه أكثر الخلق على اختلاف طبقاتهم في هذا الزمان المُوطئ للدجال والأمور العظيمة {ولا تحسبن الله غافلاً عما يعلم الظالمون} و {سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون}.

والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد ،،

المركز الإعلامي السوري

المصادر: